تتحقق الوحدة العربية
متى تحول الشعور بضرورتها الى ارادة

أيها الرفاق[1]

بدأ حزبنا قبل أكثر من ثلاثين عاماً بين الطلاب وبقينا سنوات نتوق ونتحرق للوصول الى صفوف الجماهير والجماهير الكادحة وكنا على يقين بأننا سنصل اليها. وكانت البداية مع طبقة الطلاب العرب بداية طبيعية وسليمة كما اعتقد، اذ لم يكن بد من طليعة قادرة اكثر من غيرها من طبقات الشعب على استيعاب فكرة الحزب ومهمته، وقادرة بحكم وضعها واعمار افرادها وبعدهم عن المصالح الخاصة ان تنبري لحمل رسالة الحزب بحرارة واندفاع، وبعد سنين ومشقات وصل الحزب الى الجماهير واصبحت الجماهير ترى فيه المعبر عن مصالحها وعن ارادتها ولكن المعيار لقابلية الحزب للاستمرار والتجدد ومواكبة التطور بقي هو مقدار ما يؤثر هذا الحزب في صفوف الطلبة العرب. ومقدار ما يجذب منهم الى صفوفه. وهذا شيء اساسي اذكره في كل مناسبة التقي فيها بالطلاب البعثيين، وعندما اسمع عن تنظيم لنا في قطر من الاقطار العربية أسأل اول ما اسأل عن مدى تغلغل الحزب في صفوف الطلاب رغم معرفتنا وقناعتنا جميعاً بان المادة الاساسية للحزب وللأمة هي الجماهير وان الثورة العربية لاتقوم على طبقة المثقفين وانما تقوم على الجماهير الكادحة ولكن تفاعل الحزب مع الطلاب هو الدليل على صحة السير. على ان الحزب لم يتخلف، لم يطرأ عليه الجمود لان الطلاب يمثلون نبض الامة، نبض المستقبل وهم متطلعون دوماً الى المستقبل فاذا ابتعدوا عن الحزب فهذا دليل سيء، دليل على ان الحزب

---

(١) حديث الى الطلبة العرب في ٢٨/ ١٠/ ١٩٧٤.

بحاجة الى تجديد، الى تطوير، الى اعادة نظر.

أيها الرفاق

في هذه الظروف المصيرية التي تجتازها أمتنا تنتظرون ولا شك كلمة فيها بعض التوضيح، فيها بعض الضوء لانارة الطريق، ورغم ان ظروفنا العربية وظروفنا القومية معقدة جداً فنستطيع ان نتبين بعض الخطوط الاساسية، نستطيع ان نرى ان الامة سجلت تقدماً ملحوظاً في الوعي وفي الممارسة، في الفكر وفي النضال فالهزيمة التي أصابتنا عام ١٩٦٧، رغم ان التآمر الاستعماري الصهيوني كان هو المسبب الرئيسي لها، هذا التآمر المستمر على يقظة الامة العربية ونهضتها لكي تبقى مفككة مجزأة ضعيفة تنهب ثرواتها وتستغل ارضها، رغم ذلك كان في ضمير الامة شعور بأن شيئاً في الهزيمة كان مفيداً وكان حقاً وعدلاً وكان لخير الامة. بمعنى ان الاوضاع التي كانت تحظى بالتأييد الشعبي والتي كانت تصنف بأنها اوضاع وطنية وقومية وتقدمية، ان لم نقل ثورية، كان فيها نقص كبير، وكان فيها خلل وامراض وكان يخشى ان يستمر ذلك ان تستمر تلك التغطية للحقيقة وان يستمر ذلك، التزوير وان يؤثر في وعي الجماهير العربية فتكون ثورتها مختلة وغير سليمة وبالتالي تكون مقصرة عن بلوغ اهدافها الكبرى، جاءت الهزيمة لتكشف عن الامراض، لتكشف عن التضليل، عن التزوير، عن التعمية والتغطية. صحيح انها كانت مؤآمرة استعمارية صهيونية خبيثة، ولكن كان فيها ناحية خير من اجل ان لايستمر الغش، من اجل ان تصحح الاسس التي تبنى عليها الثورة العربية المعاصرة وبالفعل هذا القدر من الوضوح الذي ولدته الهزيمة، فأدى الى سقوط الحجب والستائر، هذا القدر من صحوة الفكر النقدي عند الجماهير العربية والاجيال العربية الشابة المثقفة، هذا التنبه هو الذي فعل فعله خلال سنوات قليلة محدودة وانفجر في الحرب الاخيرة في حرب تشرين بطولة وشجاعة وعلماً وكفاءة وكان يمكن ان يصنع اضعاف ما صنعه لولا ان الحكام والانظمة وضعت في وجهه العراقيل منذ بدايته الاولى لتبتره بتراً. ولكننا نؤمن رغم ذلك التشويه ورغم ذلك البتر بأن الوعي العربي قد انطلق ولن يقيد بعد الآن ولن يكبل، وان تلك الانظمة التي حاولت ان تظهر انها صانعة النصر في حين

كانت هي التي جمدت النصر في منتصف الطريق وهي التي شوهته وزيفته فيما بعد حتى كاد يتحول الى هزيمة في المساومات المشبوهة حفاظاً على وجودها لا اكثر، نحن نؤمن بأن هذه الانظمة عاجزة عن أن تطمس الحقائق، فهزيمة ٦٧ هي فاصل تاريخي في حياة الامة العربية، هي بمعنى من المعاني الحد الذي بلغت فيه الجماهير العربية سن الرشد وتخلت عن الخرافات والاساطير، تخلت عن ان تسلم قيادها وتتكل على زعيم او مجموعة اشخاص او اي شيء من هذا القبيل وبلغت النضج لكي تستلم مقدراتها بيديها ونحن نرى ونلمس الآن، رغم استمرار تلك الانظمة في اساليبها القديمة، في القمع، في المراقبة، في التوجيه، في الاعلام، في كل ذلك ان روحاً جديدة تختلج في قلوب وعقول الجماهير العربية والطلائع الشابة المثقفة بأنها لن تعتمد إلا على نفسها، إلا على الرؤية الواضحة. ماذا نستخلص ايها الرفاق من هذه الاوضاع العربية؟ ابرز شيء يقفز الى النظر والى الذهن هو مفارقة عجيبة قد تكون فريدة في تاريخ الشعوب هي ان وطننا العربي الكبير وأمتنا العربية المجيدة ـ هذا الوطن الكبير فيه من الثروات ومن الطاقات ما يستطيع ان يغير مجرى تاريخ العالم كله، والامة العربية فيها، في تراثها وماضيها من القيم والاستعدادات، وفي حاضرها من القوى المتفجرة والكفاءآت والنبوغ ما يكفي لبناء دولة عظمى ولبناء حضارة جديدة رائعة تسهم في إسعاد العالم ورغم ذلك لانرى إلا التخلف والبؤس والتفكك والتناحر والاستسلام امام القوى. هذه المفارقة يجب ان ندخلها الى وعي كل فرد من ابناء أمتنا، الى عشرات الملايين من الجماهير العربية يجب ان ينظروا ويلمسوا هذه المفارقة ليعرفوا ان اي عذر يسقط واية حجة تبطل لأي نظام اذا لم يتحرك من أجل القضاء على علة هذه المفارقة، على سبب وجودها، على علة الضعف والتخلف في الوجود العربي، على التجزئة العربية.

أيها الرفاق

مشاكل الامة العربية كبيرة وصعبة ومعقدة، هناك وطن مترامي الاطراف مقسم الى دول ودويلات وهناك تفاوت في مستويات التطور والرقي، هناك انقسامات على شتى الاصعدة ولكن هناك شيئاً لاتستطيع قوة ان تنكره او تتجاهله هو ان هذه الامة

تشعر وتعرف بأنها أمة واحدة، ومتى استطعنا ان نحوّل هذا الشعور وهذه المعرفة الاكيدين الى ارادة تتحقق الوحدة العربية.

أمتنا ايها الرفاق لاتستطيع ان تهرب من نفسها، من طبيعتها من ماضيها من اصالتها. لها تكوين، لها روح، لها خصائص، فهي إما أن تكون أمة عظيمة او تتردى على شكل هذا التناثر وهذا التخلف الذي نرى، إما أن تكون صانعة للحضارة، صانعة للتاريخ او ان تتمزق وتنقسم فيما بينها لأنها لاتستطيع ان تقبل بوضع لايرقى الى مستوى طموحها وطبيعتها الأصيلة كيف تستطيع الأمة العربية ان تبلغ هذا المستوى؟ من يستطيع ان يوصل الامة العربية الى غايتها الاساسية؟ ليس غير الجماهير الواسعة، الجماهير الكادحة هي وحدها، ليس فقط في عددها الضخم سواء في البناء او في القتال وهذا شيء اساسي وانما بما تتميز به من حيوية متجددة ومن تجرد واستعداد عميق وتام للتضحية وتحمّل المشاق والنضال الطويل، هذه الطبقة طبقة الفلاحين والعمال الكادحين على صنوفهم المختلفة هي.وحدها التي لاتتعب، هي وحدها التي تلتقي أهدافها بأهداف الامة، انها مؤهلة لان تناضل وتناضل وتبني وتحارب حتى تبلغ الامة اهدافها، اما الطبقات الاخرى ومنها طبقة المثقفين فان نفسها قصير واستعداداتها العقلية والنفسية تغريها كثيراً باختصار طريق النضال والاخلاد الى الراحة والاستمتاع وبخلق شتى الاعذار والحجج، فليس بينها وبين الامة ذلك التوافق التام، انها تكتسب صفتها الثورية من انحيازها الى الجماهير الكادحة، من اندماجها بقضية الجماهير فاذا انفصلت عن تلك القضية لاتعود ثورية رغم كل نواياها الحسنة ورغم كل كفاءآتها. ومن يصنع الوحدة العربية غير الجماهير الكادحة؟ الوحدة العربية تبدو امراً بديهياً ولكن دون تحقيقها الصعاب، وتكاد تبدو من ناحية اخرى وكأنها مستحيلة ولكن عندما تقوم الثورات على يد الجماهير الكادحة ذات النفس الطويل، والحيوية المتجددة والتفاؤل المميز لجماهير شعبنا، عندما تقوم الثورات على يد هذه الجماهير وتأخذ هذا الطابع الشعبي الجذري، الذي لايقبل الالتباس، ثورة شعبية بالمعنى الصحيح، فإن مثل هذه الثورة تجتاز الحدود وتصبح كالنار في الهشيم، تنتقل عبر الحدود وتخلق التيار الشعبي التاريخي الجارف الذي

يصنع الوحدة العربية.

أيها الرفاق

لقد قدر لحزبنا أن يحمل العبء الكبير، ان يضطلع برسالة الوحدة. وهو يسير على الطريق الصحيح. لقد ترسخ حزبنا في هذا القطر وضرب جذوره في اعماق تربته. هذا القطر الذي كان وحدوياً من قبل.البعث، هذا القطر، العراق عراق العرب بطبيعته بتكوينه بمشاكله، كان مؤهلاً لان يحمل رسالة الوحدة. ولكن اوضاعه البائدة الفاسدة كانت تعطل فيه هذه الارادة وتلك الامكانات حتى جاء الحزب وترون بأنه يعمل عملاً اصيلاً في هذا القطر وانه ثورة متجددة لاتهدأ ولا تتعب ونحن كلنا ثقة بأن ثورة الحزب في العراق ستسير يوماً بعد يوم لتأخذ الطابع الشعبي الجذري لتصبح ثورة الجماهير الكادحة بكل معنى الكلمة ولكي يكون العراق كما أهلّه التاريخ وكما أهلّه الحزب، محقق الوحدة وبانيها. . والسلام عليكم.

٢٨ تشرين الاول ١٩٧٤